Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مدخل

في علم البلاغة

1 ـ نشأته واطواره:

درجت المؤلّفات المختلفة في أبواب البلاغة على تخصيص مداخل يقوم بعضها على مضمون العلم وبعضها على تأريخ ظهوره وتطوّره واستوائه علماً متكاملاً، وبعضها يجمع الوجهين معاً. ويقوم هذا المدخل على الجمع بين النمطين جمعاً يمكّن القارىء من دخول هذا العلم من بابيه التاريخي والمفهومي دون أن يكون ذلك غاية في ذاته.

وتعود نشأة البلاغة وتطوّرها مثل سائر العلوم اللغوية والفقهية وغيرها في الحضارة العربية الإسلامية، إلى الحدث القرآني. فبنزول القرآن وانتشار الإسلام ظهرت الحاجة إلى وضع القوانين التي تحكم عمله من حيث هو نص لغوي وتضمن فهمَه الفهم السليم من حيث هو رسالة سماوية تصدر منها الأحكام وما اتصل بها من عقائد وعبادات.

فكان أن نشأت حركة الجمع التي شملت جميع المستويات اللغوية. فجُمعت اللغة في القواميس وكان أولها كتاب العين للخليل بن أحمد، وجُمعت القواعد النحوية والصرفية والصوتية فظهرت مصنفات كثيرة بدأها كتاب سيبويه، وجُمعت أشعار العرب قبل الإسلام وأمثالهم وقصصهم وخطبُهم، واتُّخِذَت كلّها وسيلة للحفاظ على الفصاحة ومنع اللحن الذي انتشر بدخول شعوب غير عربية في الإسلام كما اتخذت مدخلاً لدراسة القرآن. وكانت الغاية الأساسية في هذه الدراسة بيان وجوه الإعجاز في القرآن، فهو كلام عربي ولذلك وجب درسه من خلال اللغة العربية ولا يمكن أن يُدرس إلا بالإلمام بقواعد تلك اللغة، أي بنظامها.

وإلى ذلك تنضاف أمور أخرى أهمها نشأة خطة الكتابة مع تطوّر نظام الدولة الإسلامية، وما تتطلبه من شروط في صاحبها. وكذلك تطوّر فنّ الخطابة لما كان له من دور ديني في بداية الأمر تحوّل إلى ديني ـ سياسي بعد ذلك. ومنها توفر الروافد الفلسفية من اليونان والهند وغيرهما، وقد مكنت هذه الروافد البحث في هذه العلوم من وسائل الإحكام والعمق.